

ومن أجمل شعره رأيته المعروفة ومطلعها : أن كنت عاذلتي فسيري نحو العراق ولا تحوري . وبلغ خبرها عمرا ، فأخذ المنخل فقتله ، وكان المنخل يتهم بالمتجرده ، امرأة النعمان بن المنذر وكان للنعمان منها ولدان الناس يقولون أنهما من المنخل ، وهو) القائل في النابغة حين وصف المتجرده في قوله : " ما يعرف هذا إلا من جرب . ويبدو أن التعبير عن لواجج الذات تعبير صادم في صدر الإسلام مراقبة السلطة الشديدة للأخلاق والسلوك ، فاتخذ عمر بن الخطاب موقفا حازما من الغزل الذي لا يتحرج في الإعلان عن رغبات النفوس في الجنس الآخر ، وإن كان غير بذى النبرة والغرض ومسارعتة إلى معاقبة إحدي النساء المتغذلات أوضحت اتجاه السلطة وموقفها (٢) والمرأة المتغذلة هي الزلفاء " . وكانت شاعرة تحسن الغناء ، فانطلقت ذات يوم تفصح عن ذاتها تتغزل بفارس ذائع الصيت بطولة وجمالا باهراً ، نزل المدينة فأصبح حديث نساء ورجل أحلام ، وكان شعرها بلا شك يجسد الرغبة . قال الواقدي: سمع عمر نشيد شعر في دار ، فوقف فإذا الذلفاء تنشد وتقول : (٣) هل من سبيل إلأي خمر فأشربها أم هل سبيل إلأي نصر بن حجاج إلأي فتني ما جد الأعراق مقبتل تضيء صورته في الحالك الداجي نعم الفتني في ظلام الليل صورته لبائس أو الملهوف ومحتاج اما الذلفاء فاعتذرت وتاولت غزلها فقبل عمر علانيتهما وأطلق سراحها (4) . ويقول صاحب عيون الأخبار (٥) وهذا نصر بن حجاج بن علاط البهزي ، وكان من أجمل الناس فدعابه عمر فسيره إلى البصرة – فأتي مجاشع بن مسعود السكي فدخل عليه يوماً وعنده امراته شميلة (1) وكان مجاشع أميا ، فكتب نصر علي الأرض : أحبك حبا لو كان فوقك لأظلك ، أو تحتك لأظلك ، فكتبت هي : وأنا والله كذلك ، فكتب مجاشع علي الكتابة إناء ثم أدخل كاتباً فقراءة ، فأخرج نصرأ وطلقها . فقال نصر بن حجاج : ومالي ذنب غير ظن ظننته وفي بعض تصديق الظنون آثام لعمرى إسيرتني أو حرمتني وما نلت ذنبا إن ذ الحرام وعلق علي هذا الشعر محقق عيون الأخبار بقوله : وانا أحسب هذا الشعر مصنوعاً (4) وسمع عمر أعوذ برب الناس من شر معقل إذا معقل راح البقيع مرجلا فقال له عمر : الحق بباديتك (٥) وسواء أكان هذا الشعر مصنوعاً أو أصيلاً ، فإنه يؤكد مراقبة السلطة الشديدة للأخلاق والسلوك وأن التعبير عن لواجج الذات يصادم تلك المراقبة في عصر صدر الإسلام كما يؤكد علي موقف عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – الحازم من الغزل الذي لا يتحرج في الإعلان عن رغبات النفوس في الجنس الآخر ، وإن كان غير بذى النبرة والغرض ومسارعتة إلى معاقبة قائله : – بالقلب إطلاقاً ، بل هو هجاء استعار رداء الغزل وهنا أطلق عليه بعض الدراسين الغزل المستعاد ، الرغبة في التشهير بأهل المرأة وذويها : من الواضح أن الغزل الكيدي لاصلة له غرضه التشهير بالخصوم وفضحهم لتلوك الألسنة أعراضهم ، وتتغني بها في المجالس ، والتشهير بأهل المرأة وذويها وإن يفضحهم بها . وكان أهل البادية يتأذون عن الغزل ، ولو كان عذريا ، وقد ينتهي التعريض بين أهل البادية في التشبيب إلي فتن وجرائم قاتلة ، وقيل أن الشاعر ابن الدمينه قتل رجلاً من قومه شبيب بامرأته ثم قتل به (٢) . وأبي المسور زيادة بين زيد ، وهما مقبلان في ركب من قومهما ، فكانا يتعاقبان السوق بالإبل ، ومع هدية أخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز وقال : عوجي علينا واربعي يا فاطما مادون مايري البعير قائماً : الاترين الدمع مني ساجما حذار دار منك أن تلاثما فاطردت مطر دا عراهما . فعما تبذ القطف الرواسما (1) فغضب هدية حين سمع زيادة يرتجز بأخته ، فنزل فرجز بأخت زيادة وكانت تدعي أم حازم . متي تظن القلص الرواسما والجلة الناجية العياهما (٣) فتشاثما فلما وصلا إلى ديارها جمع زيادة رهطا من أهل بيته فبيت هدية فضر به علي ساعده وشج أباه خشرما وقال زيادة في ذلك (٥) شججنا خشرما في الرأس عشرا ووقفنا هديبة إذ هجانا تركنا بالعويند من حسين نساء يلتقطن به الجمانا وقال هدية : (٦) . فإن الدهر مؤتلف جديد وشر الخيل أقصرها عذابا وشر الناس كل فتني إذا ما مرته الحرب بعد العصب لانا لشعراء الذين يستغلون سلاح الغزل الكيدي للتشهير بأهل المرأة وذويها . ه – الاعتداد بالنظام الطبقي في المجتمع الأموي : كان تركيب المجتمع الطبقي عند العرب من أحرار وأموال وعبيد ، يعد الخلاف بين الطبقات والحدق الدنيا على العليا وقد عقد ابن عبد ربه فصلا في العقد الفريد ، صور فيه العرب يسيئون في المعاملة إلي الموالى لعصر بني أمية إساءة بالغة " (1) وتمثل هذا الحدق الجارح في غزل سحيم عبد بني الحسماس الذي سجن وعذب ثم قتل إلى (2) قال "الثعالبي " قال الجاحظ : ثلاثة من العبيد قتلوا بسبب العشق : منهم يسار الكواعب ، ومنهم عيد بني الحسماس ، ومنهم وضاح اليمن وكان سبب قتله تشببيه الفاضح ، الذي يزعم فيه تمكنه من الشريقات ، لا يقول ذلك إلا انتقاما من أسياده ، وكانت اشعاره تستيركو من سخطهم عليه علي علمهم بتكذيبه وبراءة ومن ذلك قوله وقد أكثروا ضربه . أن تقتلونني فقد أسخنتم أعينكم وقد أتيت حراما وما تظنوننا وقد ضمنت إلى الأحشاء جارية عذب مقبلها مما تصونونا وقوله : (٥) شدوا وثاق العبد لا يفلتكم إن الحياة في الممات قريب ء) وأبعد في هذا الأسلوب سحيم عبد بني الحسماس في الهجوم علي أعراض القوم الذين كان فيهم ، فكان يصور الموافق ليغيظ المجتمع الذي ازدري لونه واسترقه وحرمه حرите وسخره لأغراضه ، فانبري يمزق بلسانه الأعراض في صور الفحشاء الفاضحة حتي قتل : (٦) " وقال إن : " عمر بن

الخطاب - رضي الله عنه - أمر بقتله لأبيات فاحشة نظمها ، وقال : أن بني الحسماس قتلوه لتغزله بنسائهم ، وذكر بعض الرواة أنهم حفروا له أخدودا ووضع فيه ، وألقي عليه الحطب ثم أحرق (٧) وهكذا كانت هذه الدواعي وراء الغزل الكيدي منذ بدأت بوادر ظهوره في العصر الجاهلي ، ثم ذاع وانتشر في العصر الأموي ، وأسهم في بنائه عدد كبير من الشعراء في الجاهلية ، والإسلام ، ونقلته إلينا كتب الأدب والسير والأخبار . ثالثا : الغزل الكيدي قبل العصر الأموي : أوضح العرض المتقدم عن بوادر ظهور الغزل الكيدي وبواعثه ، أن هذا الضرب من الغزل ظهر في أخريات العصر الجاهلي ، حيث كانت تقدم به بعض قصائد الفخر والهجاء ، وهو غزل تمهيدي يصطنعه الشاعر في شريفة من شريفات خصومه وخصوم قومه ، ولم يكن يصدر عن حب وعاطفة ، بل عن تصنع وتكلفوا وادعاء ، يريد به قائله أن يغيب ويشهر بالخصوم وفي بعض الأحيان يكون الباعث عليه التعبير عن اللوائح الذاتية ، أو أن يحس الشاعر بوضاعة حاله وعبوديته وازدراء المجتمع له . ويعد الشاعر المنخل اليشكري (١) من أوائل الشعراء الجاهليين الذين بادروا إلي هذا اللون حيث كان يشبب بهند بنت عمرو بن هند ولها يقول (٢) : ياهند هل من نائل ياهند للعاني الأسير وبلى خبرها " عمرا " فآخذ المنخل فقتله ، وكان المنخل يتهم بالمتجردة زوج النعمان بن المنذر وكان للنعمان منها ولدان كان الناس يقولون إنهما من المنخل . هند ، وكان جميلاً كما يقول ابن قتيبة . وقال قبيل قتلته يستثير قومه لأخذ بتاره (٣) . ظل وسط العبادة قتلى بلاجرم وقومي ينتجون السخالا لا رعيتم بطنا خصيبا ولا زرتم عدوا ، ولا رزاتم قبالا (٤) وتعزو بعض الروايات قتل طرفه بن العبد إلي تغزله يوما بأخت عمرو بن هند ، وقد برزت له وهو ينادمه علي شراب ، ألا يأبي الظبي ال ذي يبرق شمساه ولولا الملك القا عد قد الثمني فاه فحقد عليه وقد حبس طرفه بن العبد في حصن في البحرين وفيه قتل . ومن قبيل الغزل الكيدي ما قاله النابغة الذبياني في " المتجردة " امرأة النعمان ابن المنذر في قصيدته التي أولها : من آل مية رائح أو معتد . الخ (١) . فوصف فيها ما يجوز ما لا يجوز . فلما سمع المنخل اليشكري هذا الشعر قال للنعمان . ما يستطيع أن يقول مثل هذا الشعر إلا من قد جرب فوق ذلك في نفسه ، وبلغ النعمان ذلك فخافه فهرب إلي عسان . (٢) . 57 وكانت أيام العرب وحروبهم نافذة أطل من خلالها الغزل الكيدي واتخذ الشعراء في مقدمه قصائد الفخر والهجاء جسرا ومن قبيل هذا الغزل ما صدر عن كل من قيس بن الخطيم أتعرف رسما خاطرا والمذاهب - لعمره وحشا غير موقف راكب . وعبد الله بن رواحة في الحروب التي درات بين الأوس والخزرج قال قيس بن الخطيم شاعر الأوس في يوم بعث (٣) يتغزل بعمره أخت عبد الله بن رواحة . وقد بدأ قيس قصيدته التي يفتخر فيها بقومه بهذه المقدمة الغزلية الذي يتغزل فيها بعمره أخت عبد الله بن رواحة وأم النعمان بن بشير ، وقد ورد ذكرها في شعره أكثر من مرة لإغاطة عبد الله بن رواحة والتشهير بأخته ، وكعادته بدأ في غزله معتدا بشخصيته يدل علي من يعشق ، فأجابه عبد الله بن رواحة بالرد عليه ومعاملته بالمثل يتغزل في أخت قيس بن الخطيم ليلي - كما شبب ابن الخطيم بعمره أخت عبد الله بن رواحة فيقول : (١) وإذا كانت أيام العرب وحروبهم قبل الإسلام نافذة أطل من خلالها الغزل الكيدي في الشعر الجاهلي ، ولم يقف التعبير عن لواعج الذات عند الشعراء الرجال فحسب وقد سبقت الإشادة إلي ذلك وإنما بدا ذلك في شعر النساء في العصر الجاهلي ، ومن ذلك ما قالته ضاحية الهلالية ، وقد أحببت رجلا اسمه الهلال (١) : وإنني لأنوي القصد ثم يردني عن القصد ميلات الهوي فأميل وما وجد مسجون بصنعاء موثق لساقيه من حبس الأمير كبول وما ليل مولي مسلم بجديرة بعد ما نام العيون عويل هذا قليل من كثير مما جاءت به قرائع الشعراء من الغزل الكيدي في العصر الجاهلي أما في عصر صدر الإسلام ، فقد توارى هذا الغزل ، لأنه يتنافى مع تعاليم الإسلام وعندما بدأ شيء من ذلك الغزل تصدي له الرسول ﷺ وعاقب عليه بالقتل كما حدث لكعب بن الأشرف وكان هذا الغزل الانتقامي سببا في هلاك الشاعر أحيانا كما حدث لكعب بن الأشرف فإنه بكى قتلي بدر شبب بنساء الرسول ﷺ ونساء المسلمين فأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة ورهطا معه من الأنصار بقتله فقتلوه (٢) كما تصدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه - واتخذ موقفا حازما من الغزل الذي لا يتخرج في الإعلان عن رغبات النفوس في الجنس الآخر ، وموقفه من الشاعرة الذلفاء ومعل بن سنان الأشجعي قد سبقت الإشارة إليه ومن هؤلاء الشعراء الذين جري علي السنتهم هذا الضرب من الغزل عبد سحيم بني الحمساس ، وكان يكثر من ذكر نساء بني الحمساس في شعره ، ويصرح ياتيانهن فتهود وحملوه إلي أمير المدينة فسجنه وجلده ، ولما عادوا به عاود ما كان منه التشبيب الفاضح ، فحبسوه عندهم وعالجوه بالعقوبة ، فلم يرفع فقتلوه أو قذفة بالنار (٣) وفي شعره وأخباره ما يدل علي انه كان ماجنا يتغزل بالنساء ويعايشهن ، ولأنه عبد أسود فقد كان النساء يتجرأن علي معانيته ، ولا يجدن في ذلك حرجا - وفي شعره ضروب من والشاعر عبد الله بن رواحة في هذه المقدمة الغزلية مفتون بصاحبته ، ويؤلمه رحيلها حتي تتردد ودموعه في صدره ، ويظل يبكي خلفها وهي راحلة مبتعدة . ولقد ظل يبكي طوال اليوم من غدوة الشمس حتي رواحها ، وتجمعت فوق صدره جميع همومه البعيدة ، ولكن سرعان ما يكف عن هذا الذي هو فيه ،

فيدعو نفسه إلي التنبه والתיقظ - فالحب يدبر إذا لم يجد حبيباً مصافياً وخليلاً مصاقباً قريباً وكثيراً ما اتخذ الشاعر الجاهلي هذا اللون من الغزل الكيدي في مقدمة قصائده جسراً يعبر به إلي موضوع آخر أو غرض آخر كالفخر والهجاء ، فيتسني له ذكر القوة وتحدي الأعداء والخصوم ، واستباحة الحريم ، كما في قول بشر بن أبي خازم الأسدي في الفخر بانتصار بني أسد وحليفاتها بني حنبة علي بني عامر وحليفاتها بني غيم في يوم الفساد (1) وفيها يقول : عفت من سليمي رامة فكثيبتها وشطت بها عنك النوي وشعوبها . هيجتها جنوبها ثم يقول : بني عامر ، فيري النساء اللاتي تصحين القوم ، ويبدو التشنيع هنا تشنيعاً عنيفاً لإغظة القوم ، ففيه ذكر للسبي واستباحة للحريم ، وقد تكررت الإشارة إلي نساء عامر وغيم في موضع آخره في شعره (3) وكم من موضع قد غادروها لهيف القلب كاشفة القناع . والشاعر يتمادي في التشنيع علي نساء أعدائه ويبالغ فلنساء المرضعات المفجوعات حسرن عن : وجوههن من الذعر ، وهن ينادين رجال قومهم بالحاح للعودة إلي القتال ، لأنهم تركوهم للضياع الغزل الماجن المكشوف . ويكثر في شعره من تصوير المغامرات الغرامية ، وأن المرأة علي الرغم من خوفها وتحفظها ، فهي تطيعه وتستجيب له ، وهي تحذره همما يضره أهلها له لو عرفوا سرهما (1) . وماشية مشي القطاه اتبعته من الستر تخشي أهلها أن تكلمها فقالت : صه يا وبخ غيرك إنني سمعت حديثاً بينهم يقطر الدما فنفضت ثوبيها ونظرت حولها ولم أخش هذا الليل أن يتصرماً أعفني بآثار الثياب مبيتها والقط رضا من وقوف تحطما ولاشك أن مغامرات الشاعر هذه - وهو - العبد الأسود - لا يمكن أن يمكن أن تكون حقيقية ، بل هي أحلام من أحلام اليقظة ، وتخيلات وتمنيات . بدليل أنه يحس بوضاعة حاله ، وقبح وجهه ودمامة خلقه ، وعبوديته ، فقد كان سحيم أسود قبيح الوجه معلطاً (2) ويقر أنه شخص مزدري في مجتمعه ، يقول (3) : أشارت بمدراها وقالت لتربها أعبد بني الحسماس يزجي القوافيا رأت قنبارنا وسحق عباءة وأسود ما يملك الناس عارياً يرجلن أقواماً ويتركن لمتي وذاك هوان ظاهر قد بداليا وكانته نهايته في حدود سنة أربعين من الهجرة ، وقيل : بل قتل في خلافة عثمان بن عفان ، وكان ولاشك أن الحافظ علي الأخلاق والمحاماة عن الأعراض إخلاصاً أو نزولاً لصوت الشرع كان الداعي لما أصاب سحيم من العقاب من جراء غزله . رابعا : الغزل الكيدي في العصر الأموي : ترسم شعراء الغزل الكيدي في العصر الأموي خطاً ونهج شعراؤه قبل هذا العصر . ولعل هذا مما حدا بالدكتور / طه حسين إلي القول : " هذا الغزل الهجائي الذي يكاد ابن قيس الرقيات يكون مبتدعه خالق بالعناية ، ويصف الدكتور / الحوفي عبارة طه حسين السابقة بالدقة ، نظراً لأنه لم يحدث تطور في هذا اللون من الغزل منذ ظهوره في العصر الجاهلي . فإنني أعني ما تحتمله هذه الكلمة من معني ، لأن ابن قيس الرقيات لم يكن مبتدع هذا الغزل ، ولكنه يوشك أن يكون مبتدعه ، إذا نظرنا إلي أنه اصطنعه مقدمة لقصائد المدح وقد كان سابقوه يصطنعونه مقدمة قصائد الفخر والهجاء ، ثم إذا راعينا أنه صور في غزله ما زعم أنه حدث في أحلامه ورؤاه ، من الأحلام في شيء (1) وهؤلاء الشعراء السابقون الذين جدوا ابن قيس الرقيات الذي يتمثل في الخصومة السياسية خلاف ما كان عليه عند من سبقوه فكان الباعث عليه الحروب والأيام والعصبية القبلية فهما إلي الفخر والهجاء أحوج . وفي العصر الأموي اتخذ هذا اللون من الغزل طابعاً سياسياً ، فقد حدث أول ما حدث في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وكانت الخصومات السياسية والعداوات القبلية من وراء ذلك ، وكان غرض الشاعر أن يشيب بنساء السلطان أو الأشراف ليفتنضحهم ، وتلوك ألسنة المنشدين والمغنيين أغراضهم ، وكان هذا التشبيب سبة مغيبة تحمل أولي الأمر علي معاقبة الشعراء الخصوم من العقاب . ولم يكن للحب أو الوجد أدني حظ في هذا الغزل ، بل هو غزل كيدي ، وهو أدخل في باب الهجاء منه في باب الصباية والنسيب . ودعت الخصومة بين الأنصار والأمويين عندما آلت الخلافة إليهم إلي بعث الغزل الكيدي وإحيائه ، فتغزل عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بابنة معاوية وأحنق أخاها يزيد في عهد أبيه إذ يقول : صاح حيا إلا له أهلاو دارا عند أصل القناة من جيرون أم هل طمعت يابن حسان في ذا ك كما قد أراك قد أطعمت مني " وكان معاوية واسع الحلم ، أغضى عن شاعر الأنصار لمكانتهم والحرمتهم